البحرين والقوى المحلية والدولية خلال القرن السادس عشر

أ.د. جميل موسى النجار

الجامعة المستنصرية ــ كلية التربية

خلاصة البحث:

دفع موقع البحرين الاستراتيجي في الخليج العربي، وأهميتها السياسية والتجارية والاقتصادية قوى متعددة.. إقليمية ودولية إلى التنافس فيما بينها للاستيلاء عليها، والدخول في صراعات من أجل ذلك مع سكانها. حيث كانت هذه البلاد، كما يقول الفرنسي جان جاك بيربي، مطمع الغزاة الفاتحين منذ خمسة آلاف سنة. وقد أخذ هذا البحث على عاتقه مهمة الكشف عن تنافس القوى المحلية والإقليمية والدولية خلال القرن السادس عشر من أجل السيطرة على بلاد البحرين، وهي قوى تتمثل الخارجية منها بالبرتغاليين والعثمانيين والفرس والهرمزيين. ويكتسب البحث أهميته، وكذلك الدراسات التي تتناول تاريخ البحرين في تلك الحقبة المبكرة من العصر الحديث، من محاولة كشفه لجانب من جوانب تاريخ البحرين يكتنفه شيء من الغموض بصورة عامة لقلة ما كتب عنه، وندرة مادته التاريخية لاسيما ما تعلق منها بالمجتمع البحريني ونظامه السياسي الداخلي ومقاومته للمعتدين الغزاة. وكان هذا القليل الذي كتب عن البحرين يمثل، في معظمه، نتاج الكتاب البرتغاليين، وهؤلاء لم يهتموا بأمر تدوين تاريخ البلاد بشكل موضوعي محايد، إذ اقتصر ما كتبه البرتغاليون عن البحرين على بعض الحوادث العسكرية المهمة من وجهة نظرهم، وعلى معلومات تتعلق بلؤلؤ البحرين حيث تعد هذه البلاد من أغنى مناطق الخليج العربي في إنتاج اللؤلؤ. ولم يدون البريطانيون أية معلومات عن البحرين حتى عام ١٦٢٥.

أما المواضيع التي تناولها البحث، فتطرق أولها إلى الوجود البرتغالي في الخليج العربي وطبيعة جذوره ودوافعه. ودرست الأخرى جوانب متعددة تندرج ضمن الإطار الذي رسمه عنوان البحث، هي: تصدي البرتغاليين لقوة المماليك البحرية وانتصارهم عليها، والدخول في تنافس مع العثمانيين للهيمنة على البحر الأحمر والخليج العربي، والذي أسفر عن تمكن البرتغاليين في السنوات الأولى من القرن السادس عشر من فرض هيمنتهم على الخليج بعد انتصارهم العسكري على حاكم هرمز العربي سنة ١٥٠٧ مما ترتب عليه خضوع البحرين لهم بحكم خضوعها لهرمز آنذاك. وقد تمكن هؤلاء بعد عدة صراعات سياسية وعسكرية مع هرمز والصفويين وسكان البحرين من احتلال البحرين سنة ١٥٢١. بيد أن البرتغاليين لم يحكموا البحرين حكماً مباشراً وتركوا أمرها لحكامها المحليين. وتطرق البحث أيضاً إلى علاقات البحرين بهرمز إبان حقبة السيطرة البرتغالية، وعلاقات العثمانيين بالبحرين وصراعهم مع البرتغاليين عليها. وتناول كذلك المقاومة البحرينية للوجود الأجنبي البرتغالي التي نجحت بمساعدة الفرس من طرد الغزاة البرتغاليين من البحرين عام ١٦٠٢.

تتألف بلاد البحرين من مجموعة من الجزر تبلغ ثلاثاً وثلاثين جزيرة من بينها خمس جزر كبيرة أكبرها جزيرة المنامة التي تسمى البحرين أيضاً، والتي أطلق أسمها على مجموعة الجزر-الأرخبيل- هذه. وتليها من حيث سعة المساحة جزر المحرق وأم نعسان وسترة والنبي صالح [1]. ويبلغ مجموع مساحة هذه الجزر حوالي ٤٠٠ ميل مربع [2] أو أقل من ذلك بقليل حيث يذكر جان جاك بيربيي [3] أن مساحتها لا تتجاوز ستمائة كيلومتر مربع.

وقد حملت البحرين منذ أقدم العصور تسميات متعددة، كان أقدمها ما أشارت إليه النقوش والكتابات السومرية والأكادية [4]. واستعملت تسمية (البحرين) من مطلع العصور الوسطى، واستمر هذا الاسم يطلق منذ ذلك الحين وحتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي على ساحل الخليج العربي الممتد من الكويت حتى قطر، وعلى الجزر التي تقع بمحاذاته ومنها مجموعة الجزر التي أشرنا إليها. بيد أن اسم البحرين قد اقتصر منذ قدوم الغزاة البرتغاليين إلى الخليج العربي في عام ١٥٠٧ على تلك المجموعة من الجزر فحسب [5]، وهي بلاد البحرين بحدودها المعروفة اليوم.

وتتوسط البحرين منطقة الخليج العربي، إذ أنها تقع في منتصف المسافة تقريباً بين مصب شط العرب في الخليج وبين مدخل الخليج في هرمز. وهي تتوسط أيضاً المسافة بين شبه جزيرة قطر وساحل القطيف من شبه الجزيرة العربية [6]. وموقعها كما هو واضح ذو أهمية تجارية وسياسية كبيرة خاصة في تجارة العصور الوسطى والحديثة حتى فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩. فهي تعدّ آنذاك مركزاً مهماً للمواصلات العالمية، وحلقة وصل بين موانئ الخليج العربي وساحليه الشرقي والغربي، وبينها وبين العالم الخارجي [7]. إلا أنه على الرغم من أهمية البحرين التي ترجع إلى موقعها وإلى أسباب أخرى كثروتها من اللؤلؤ، فإن تاريخها في مطلع القرن السادس عشر يكتنفه شيء من الغموض لقلة ما كتب عنه خاصة في الجوانب المتعلقة بالمجتمع البحريني ونظامه السياسي الداخلي ومقاومته للمعتدين الغزاة. وكان هذا القليل الذي كتب عن البحرين يمثل نتاج الكتاب البرتغاليين في معظمه، وهؤلاء لم يهتموا بأمر تدوين تاريخ البلاد بشكل موضوعي محايد، إذ اقتصر ما كتبه البرتغاليون عن البحرين على بعض الحوادث العسكرية المهمة من وجهة نظرهم، وعلى معلومات تتعلق بلؤلؤ البحرين حيث تعد هذه البلاد من أغنى مناطق الخليج العربي في إنتاج اللؤلؤ. أما البريطانيون فلم يدونوا أية معلومات عن البحرين حتى عام ١٦٢٥ [8].

وتكمن أهمية البحرين، فضلاً عن موقعها التجاري والاستراتيجي المتميز، في كونها بلاداً تمتعت باقتصاديات مزدهرة خلال القرن السادس عشر. وكان اللؤلؤ يمثل عصب اقتصادها، والعامل البارز في انتعاش تجارتها الخارجية، ومصدراً أساسياً من مصادر دخلها، إذ أن أغنى (مغاصات) اللؤلؤ على الساحل الشرقي للخليج العربي يقع في شمال البحرين وشرقها [9]. وفضلاً عن ذلك فإن تجارة البلاد، ومنها تجارة المرور للتوابل والحرير خاصة التي تمر عبرها، تشكل معلماً آخر من معالم ازدهار اقتصادها آنذاك، إذ أن البلاد كانت تمتلك مجموعة من السفن التجارية التي تعمل بين البحرين وموانئ الخليج العربي، وبينها وبين العالم الخارجي في المحيط الهندي وبحر العرب والساحل الشرقي لأفريقيا. كذلك فقد أنعش البحرين اقتصادياً ثرواتها من المياه العذبة والأسماك والتمور والمنتجات الزراعية لمزارعها التي تعد واحة كبيرة بين سواحل الخليج العربي المقفرة والأراضي الصحراوية لشبه الجزيرة العربية. كما كان سكان البحرين يتقنون بعض الصناعات والحرف اليدوية وأهمها صناعة الأشرعة للسفن، وبعض الصناعات النسيجية كالنسيج الصوفي [10].

ومن ثم فإن أهمية البحرين بجوانبها المتعددة التي أشرنا إليها قد دفعت القوى المحلية والدولية للتنافس على الاستيلاء عليها. فقد كانت هذه البلاد، كما يقول (بيربيي)، "منذ خمسة آلاف سنة بسبب موقعها الجغرافي الخطير مطمع الغزاة الفاتحين"[11]. وكذلك كانت بسبب ثروتها من اللؤلؤ محط أنظار الطامعين فيها، ومنذ آلاف السنين أيضاً "من العهد الآشوري إلى عهد البرتغال"[12] من جيرانها الأقوياء، ومن غيرهم من العثمانيين والبرتغاليين، ومن بعدهم بقية القوى الأوربية التي وفدت على الخليج العربي في العصور الحديثة من هولنديين وفرنسيين وإنكليز.

وخلال القرن السادس عشر الذي يدور حوله موضوع بحثنا عن البحرين والقوى المحلية والدولية في الخليج العربي، كان البرتغاليون القوة المهيمنة على مقدرات الخليج العربي التجارية، ومن ثم السياسية والعسكرية بدرجة أقل. وقد استطاعت هذه القوة أن تخضع البحرين لسطوتها طوال ذلك القرن، وإن نافستها قوى إقليمية ومحلية كالعثمانيين والفرس والهرمزيين أرادت الاستحواذ على البحرين أيضا. وفي خضم تلك الصراعات كان حكام البحرين المحليون سرعان ما يحولون ولاءهم من قوة إلى أخرى بحسب مدى فاعلية تأثير كل قوة منها ووفقا لما تقدمه من منافع لهؤلاء الحكام. ففي سنة ١٥٣٥ وبعد سنة واحدة من فتح السلطان سليمان لبغداد أرسل حاكم البحرين فروض الطاعة والولاء والخضوع للسلطان العثماني[١٣].

ومن ثم يمكن القول بأن القرن السادس عشر كان قرن البرتغاليين في الخليج العربي وفي البحرين، إذ توجه البرتغاليون بأنظارهم عقب نجاح فاسكو دي غاما في عبور رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧، وعشية إطلالة ذلك القرن، نحو مياه بحر عمان والخليج العربي "طمعا في ثروة مسقط ولؤلؤ البحرين"[١٤]. وبتمكنهم من دخول الخليج العربي قبل نهاية سنوات العقد الأول من عقود ذلك القرن، وبفرض سيطرتهم الاسمية على البحرين آنذاك بحكم هيمنتهم على هرمز، ومن ثم فرض سيطرتهم العسكرية المباشرة عليها، فقد دخل الغزو البرتغالي للخليج العربي مرحلة حاسمة "وذلك لأن سقوط البحرين بيد البرتغاليين قد حقق انتصارهم الكامل على عرب الخليج، وفتح أمامهم كل شطئان ذلك الخليج وجزره وخلجانه. ونستطيع أن نعد انتصار البرتغال هو انتصار لأوربا على العرب والمسلمين في الشرق ذلك لأن الأسبان والبرتغاليين كانوا، في نفس ذلك الوقت من الزمن تقريبا، قد قضوا على آخر من بقى من العرب والمسلمين في الأندلس، وأنهوا آخر أثر من آثار الحكم الإسلامي العربي في قارة أوربا كلها"[١٥].

البرتغاليون في الخليج العربي.. جذور ودوافع

لم تقتصر دوافع الوجود البرتغالي في الخليج العربي منذ عام ١٥٠٧ على الأهداف التجارية والاستعمارية التي نشأت نتيجة لحركة الكشوفات الجغرافية فحسب، بل كانت تحدو هذا الوجود فيما يبدو دوافع دينية ترجع في جذورها إلى الحروب الصليبية. ذلك أن المتتبع لتاريخ البرتغاليين يلحظ أن تاريخهم الوسيط حتى مطلع العصور الحديثة يكاد يكون سلسلة متصلة من الحروب ضد المسلمين تميزت حتى الحروب الاستعمارية الأخيرة منها في الخليج العربي منذ مطلع القرن السادس عشر بكونها حروباً صليبية، بشكل أو بآخر، كان الطرف الآخر فيها هم (الكفار). وقد جاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي في أعقاب تقهقر العرب المسلمين في الأندلس وانسحابهم إلى الشمال الأفريقي وملاحقة البرتغاليين لهم نحو سبتة التي اتخذوها قاعدة ينطلقون منها لتحقيق أهدافهم في القضاء على المسلمين.

إن هنري الملاح ملك البرتغال (١٣٩٤-١٤٦٠) الذي قاد معركة ضارية في سبيل الحصول على موضع قدم في أرض العرب المسلمين في الشمال الأفريقي قد كرس حياته لتحقيق أهدافه الدينية التي تتمثل، كما يقول كاتب الحوليات البرتغالي (أزورارا)[١٦] في هزيمة الإسلام هزيمة ساحقة لا تقوم له قائمة بعدها. وقد قاد هذا التوجه هنري الملاح إلى الاهتمام بالأسطول والرحلات والاكتشافات البحرية، وأرسل بعثاته لهذا الغرض وأمر بوضع الخرائط البحرية وفقا لتقارير تلك البعثات لكي يستعين بها جنوده في تحقيق أهدافهم الحربية.

ودعمت تلك التوجهات التي تبتغي القضاء على المسلمين برغبة البرتغاليين في كسب الثروة والسيطرة على تجارة أوربا مع الهند التي كان يهيمن عليها المسلمون بحكم عوامل متعددة منها وقوع بلادهم في طريق الهند. وهي رغبة تصب أيضا في صالح هدف دحر المسلمين، ذلك أن تحكم البرتغاليين بتلك التجارة يعني القضاء على الشريان الرئيس للاقتصاد الإسلامي، ويعنى أيضا تمكنهم من وضع قواعد هيكل (الحضارة المسيحية) التي كانوا يحلمون بإقامتها[١٧]. وبدأ البرتغاليون يعملون للسيطرة على

تجارة أوربا مع الهند عن طريق آخر غير طريق بلاد العرب المسلمين، فأخذوا بالإبحار مع ساحل أفريقيا الغربي الذي لابد له أن ينتهي ليسلكوا عند نهايته الطريق نحو الشرق بهدف الوصول إلى الهند.

وتمكن البرتغاليون من التجارة مع أفريقيا أول الأمر وعملوا على نهب ثرواتها، ثم وصلوا في عام ١٤٨٦ إلى رأس الرياح الهوج في أقصى جنوب القارة الأفريقية والذي أعاد الملك تسميته برأس الرجاء الصالح[١٨]. وفي عام ١٤٩٧ أرسل الملك عمانوئيل أربع سفن بقيادة فاسكو دي غاما تمكنت من عبور رأس الرجاء الصالح وواصلت سيرها لتصل إلى الهند، ربما بمساعدة من لهم خبرة بشؤون ومسالك المحيط الهندي الذين التحقوا بدي غاما ومنهم بعض التجار العرب والملاح العربي أحمد بن ماجد[١٩] الذي ذكرت بعض المصادر أنه قاد سفينة دي غاما في بعض مراحل سيرها. وقد عاد دي غاما إلى بلده عام ١٤٩٩ بعد أن حمل سفنه بالتوابل والبضائع الهندية[٢٠].

إن رحلة دي غاما الناجحة إلى الهند دفعت البرتغاليين إلى تطوير سفنهم تقنياً للاستمرار بمثل هذه الرحلات، وإلى إصرارهم على مواجهة المسلمين، فاستخدموا البوصلة في رحلاتهم البحرية وأضافوا إليها بعض التعديلات التي تعين اتجاهات الرياح وتقلباتها. فبعد سنة من عودة دي غاما إلى البرتغال انطلقت نحو الهند عام ١٥٠٠ سفن البرتغاليين التجارية التي لم تقتصر مهامها على التجارة بل طلب منها قتال المسلمين في أي من مسالك المحيط المؤدية إلى الهند. وتتابع بعد ذلك إرسال مثل هذه السفن نحو الهند للمهمة نفسها التي أشرنا إليها، حتى أصبح للبرتغال بعد سنة ١٥٠٢[٢١] تجارة مستمرة تحميها سفن عسكرية تجوب باستمرار مياه البحار والمحيطات خاصة الهندية منها مما حدا بملك البرتغال أن يطلق على نفسه لقب (ملك الملاحة والغزو وملك تجارة أثيوبيا والجزيرة العربية والفرس والهند)[٢٢]. وكل ذلك كان يعني بالضرورة تبدل طرق التجارة العالمية باتجاه رأس الرجاء الصالح بعد اكتشافه، بعد أن كان لتلك التجارة مسالك أخرى تتحكم فيها دول وأمم، مع قيامها على نمط معين استمر لقرون طويلة يتحكم في الموازنات السياسية والعسكرية والتجارية.

البرتغاليون في مواجهة المماليك والعثمانيين:

كانت مصر تشكل المفصل الذي يربط تجارة الهند بأوربا. وكانت البندقية حلقة الوصل الرئيسة بينها وبين أوربا. ولذلك بلغت البندقية أوج ازدهارها الاقتصادي في أواسط القرن الخامس عشر لأنها ظلت لقرون عديدة تحتكر التجارة الواصلة بين الشرق والغرب وذلك ما جعلها إحدى القوى الكبرى ليس اقتصادياً فحسب بل وعسكرياً أواخر القرون الوسطى. بيد أن سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين قد انعكس سلباً على موقع البندقية وأهميتها لاستحواذ العثمانيين على جزء من التجارة مع الهند وتجارة شرق البحر الأبيض المتوسط بعد احتلالهم لعاصمة الدولة الرومانية الشرقية (بيزنطة). وقد أجهز البرتغاليون بعد اكتشافهم لرأس الرجاء الصالح وهيمنتهم على تجارة أوربا مع الهند على ما تبقى من قوة البندقية وتجارتها التي تراجعت بشكل ملحوظ منذ بداية الربع الأخير من القرن السادس عشر. وعند ذلك حاول البنادقة أن ينبهوا السلطان المملوكي (قونصوه الغوري) في مصر إلى خطر البرتغاليين مشجعين إياه على محاربتهم لأنهم تسببوا في قطع فوائد التجارة الهندية مع بلاده وما كانت تدره عليه من أموال الضرائب والرسوم والكمارك. بيد أن وضع الغوري الداخلي والخارجي المتمثل بتهديدات فرسان القديس يوحنا لم يؤهله لمواجهة البرتغاليين آنية، فتأخر ذلك إلى ما بعد بنائه لأسطول في السويس مكنه من مواجهة البرتغاليين في (ديو) سنة ١٥٠٧[٢٣]، إلا أن النصر، بعد حرب سجال، لم يكن حليفه فاضطر إلى التراجع نحو مصر بعد أن حقق البرتغاليون النصر عليه.

وكان اندحار المماليك أمام البرتغاليين إيذاناً بزوال مملكتهم، ذلك أن البرتغاليين لم يكتفوا بانتصارهم على المصريين في (ديو) ولم يقنعوا بتحطيم تجارتهم وقطع مواردهم المالية الضخمة منها، بل دخلوا في تنافس مع العثمانيين للقضاء على دولة المماليك، فهاجموا ميناء جدة في سنة ١٥١٧، وهي السنة التي تمكن العثمانيون في أوائلها من احتلال القاهرة. وبانتهاء قوتي البندقية والمماليك[٢٤] أصبح احتكاك البرتغاليين مع العثمانيين مباشراً، وغدا تصادم هاتين القوتين الفتيتين مع بعضهما في ساحات أخرى

أمر لابد منه، وبالفعل فقد جرى مثل هذا التصادم في الخليج العربي عامة، وفي البحرين بصورة خاصة لموقعها الاستراتيجي المتميز في هذه المنطقة[٢٥].

السيطرة البرتغالية على البحرين:

لم يتمكن البرتغاليين من الوصول إلى مياه الخليج العربي والبقاء فيها لأكثر من قرن من الزمان إلا بسبب تظافر عوامل متعددة يأتي في مقدمتها ضعف القوى المحلية العربية وعدم توحد كلمتها، وصراع القوى الإسلامية الكبرى. فكان صراع الصفويين والعثمانيين، والعثمانيين والمماليك قد سهل دون شك عملية استحواذ البرتغاليين على الخليج العربي والتحكم بتجارته، وبطرق المواصلات التي تربطه بالعالم الخارجي، وبأوضاعه السياسية أيضاً.

وقد بدأ البرتغاليون تحركاتهم البحرية التي مكنتهم من عبور رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند والخليج العربي، وهم يأملون تحقيق حلم كبير كان يراودهم آنذاك بإحداث تحولات عالمية كبيرة وبناء (حضارة مسيحية جديدة)[٢٦]. ومن ثم فقد دخل البرتغاليون مياه الخليج العربي يحدوهم ذلك الحلم، فرست مراكبهم بقيادة (الفونسو البوكيرك) على شواطئ هرمز، مدخل الخليج العربي ومفتاحه، في عام ١٥٠٧. وكان دخولهم يؤذن بحقبة من الصراع المسلح بينهم وبين سكان الخليج العربي[٢٧]. واستطاع البرتغاليون بعد انتصارهم العسكري على حاكم هرمز العربي، وبموجب اتفاقية (تناب)، أن يفرضوا عليه غرامة مالية وتادية جزية سنوية لهم، كان يؤدي مثلها من قبل إلى الدولة الفارسية باعتباره خاضعاً لها وإن كان خضوعه ذاك شكلياً. وقام البرتغاليون ببناء قلعة صغيرة في (مورنة) على جزيرة هرمز وضعوا أساسها في تشرين الأول من عام ١٥٠٧. وأصبحت موانئ الخليج التي سيطر عليها البرتغاليون كقريات ومسقط وصحار مراكز حماية لهرمز وتجارتها. واستمر نظام الحكم في هرمز في الوجود بيد أن كثيراً من سكان هرمز كان قد غادرها بعد قدوم البرتغاليين إلى موانئ الخليج الأخرى، وبدأ عمران هذه المدينة وأهميتها التجارية بالتلاشي منذ ذلك الحين[٢٨]. وقد اتخذ البرتغاليون هرمز منذ قدومهم لأول مرة إليها في عام ١٥٠٧ قاعدة للانطلاق نحو شمال الخليج العربي وشواطئه الغربية التي تقع البحرين بمحاذاتها.

وقبل أن يصل البرتغاليون إلى شواطئ البحرين فقد خضعت البحرين لهم بحكم خضوعها لهرمز، حيث أضحت هرمز وتوابعها تسري عليها البنود التجارية لاتفاقية (تناب) مع البرتغاليين، وتخضع لسلطة البرتغاليين الذين شرعوا بعد عام ١٥٠٧ بالتجول في سفنهم بين موانئ الخليج ومدنه الساحلية لتوكيد هيمنتهم التجارية والسياسية، ولإظهار قوتهم العسكرية. إلا أن البرتغاليين لم يكتفوا بخضوع البحرين الاسمي وغير المباشر لسلطتهم لأهمية موقع البحرين في الخليج العربي الذي أرادوا جعله بحيرة برتغالية، فخططوا لأن تصبح البحرين واحدة من معاقلهم الرئيسة في منطقة الخليج[٢٩]. غير أن ذلك لم يكن متاحاً لهم عقب دخولهم الخليج مباشرة سنة ١٥٠٧[٣٠]، فأقدموا أول الأمر على إجراء عمليات استكشاف للجزيرة في عام ١٥١٤.

وقد أعاد البرتغاليون تثبيت أقدامهم في هرمز وأعادوا احتلالها في سنة ١٥١٥، فتوجه إليها نائب ملك البرتغال في الهند الفونسو البوكيرك، الذي تولى هذا المنصب بعد عزل أول نائب لملك البرتغال في الهند فرانسيسكو دي ألميدا (١٥٠٥-١٥٠٩)، على رأس سبع سفن وعدد من الجنود البرتغاليين والهنود واحتلها في تلك السنة[٣١]. على أن هناك عدة أسباب دعت البرتغاليين إلى القيام بهذا العمل، منها خشيتهم من إقدام الدولة الفارسية على احتلال هرمز لاسيما وأن حاكمها كان على علاقة ودية معهم[٣٢]. ومنها خوفهم من انتفاض الهرمزيين عليهم، وربما انتفض الهرمزيون فعلاً، أو حتى قاموا بثورة ضد الوجود البرتغالي في بلدهم في أوائل عام ١٥١٥، وكان آنذاك البوكيرك في طريقه إلى عدن فقفل راجعاً إلى هرمز لإخماد ثورتها[٣٣]. ولتعزيز وجودهم في هرمز اتفق البرتغاليون مع الشاه إسماعيل الصفوي على التنازل لهم عن هرمز وتوابعها، نظير مساعدته على مد سلطته نحو البحرين والقطيف وقمع الثورات التي قامت ضده في إقليم مكران. بيد أن البرتغاليين قد أدركوا فيما بعد، كما يبدو، أن عملهم هذا لا يخدم مصالحهم لأن هرمز لم تكن بيد الشاه فعلاً ولا هي عائدة له بشكل مباشر وتنازله عنها لا يضره بشيء كثير، بينما كانت البحرين غنيمة يحصل عليها الشاه

دون ثمن تقريباً، وهي بتلك الأهمية من ناحية الموقع والثـروة والـتحكم بالتجـارة وطرقهـا. لـذلك فـإن البرتغاليين نقضوا ذلك الاتفاق مع الشاه قبل أن ينتهي عام ١٥١٥ وتطلعوا لاحتلال البحرين[٣٤].

وبعد نقض الاتفـاق مـع الشـاه بشـأن البحـرين وعقدهم العزم على فرض سيطرتهم المباشرة عليها أرسل البرتغاليون في عام ١٥١٧ حملة بحرية إلى البحـرين قامـت بمحاصـرتها ولكنهـا لـم تفلـح فـي إخضاعها فارتـدت عنهـا بعـد مقاومـة باسلـة أبـداها البحرينيون لهذه الحملة[٣٥]. ثم أقدم البرتغاليون على احتلال البحرين احتلالاً عسكرياً فجردوا عليها حملة عسـكرية بحريـة بقيـادة (أنطونيـو كوريـا) فـي عـام ١٥٢١. ويبدو أن من العوامل التي دفعت البرتغاليين لاحتلال البحرين هو امتناع حاكم الإحساء، الذي ربما كانـت سلطته تمتـد نحـو البحـرين، عـن دفـع الجزيـة المقررة إلى هرمز، وإقدامه على مضايقة السفن التي تسير بين البصرة وهرمز. أو أن حاكم البحرين قد اقتدى بحاكم الإحساء في التوقف عن دفع الجزية إلى هرمز[٣٦]، فأساء ذلـك البرتغـاليين ومـنحهم الـدافع والمبرر لغزو البحرين. وكانت حملـة كوريـا تتـألف مـن سـبع سـفن برتغاليـة كبيـرة تحمـل أربعمائـة مقاتـل برتغالي، فضلاً عن عدد كبير من المراكب الصغيرة "عليها ثلاثة آلاف من العرب وأهل المنطقة"[٣٧] ! وقد أحاطت هذه القوات بالبحرين من جميع جهاتها وفتحت نيران مدافعها عليها. وقام البرتغاليون بإحراق السفن الراسية على سواحلها، وتمكنوا بعد ذلك من النزول إلـى البر، واحتلـوا المنامـة بعد مقاومـة شديدة نشبت خلالها المعارك في شوارع المدينة. وكان حينها حاكم البحـرين يقـوم بتوجيـه جنـوده مـن رمـاة السـهام والمسكتية[٣٨] بنفسه مما أدى إلى جرحه في المعارك مـع البرتغـاليين ووفاتـه بعـد بضـعة أيـام. وقـد بنـى البرتغـاليون بعـد احـتلالهم العسـكري للبحـرين عـدة حصـون وقـلاع، وأجبـروا أهـالي البحـرين علـى دفـع الجزيـة إلـى هرمـز. وأصـدر ملـك البرتغـال مرسـوماً يعطي (فاتح البحرين) كوريا الحق في حكمها باسم الملك[٣٩].

إن احتلال البحرين من قبل البرتغاليين في عام ١٥٢١ لم يكن يشير إلى أول احتكاك بين هذه البلاد والأمم الأوربية التي جاءت بعد البرتغاليين تباعاً إلى الخليج العربي فحسب[٤٠]، بل كان أيضاً يؤشر بدء السيطرة البرتغالية المباشرة عليها. إلا أنـه يبدو أن السيطرة تلك لـم تكن محكمـة وراسخة، فضلاً عن أن الحكم البرتغالي للبحرين لم يكن مباشراً، بمعنـى أن البحـرين وإن خضـعت لسـيطرة البرتغـاليين المباشـرة خـلال القـرن السـادس عشـر إلا أن هـؤلاء لـم يحكمـوها بأنفسـهم وتركـوا هـذا الأمـر لحكامهـا المحليين. بـل إن هـؤلاء الحكـام كـانوا لا يتحرجـون عـن إعـلان ولائهـم لسلطان الدولـة العثمانيـة أكبـر منـافس للبرتغـاليين فـي الخليج العربي إبان القرن السادس عشر، بل وقبول الألقـاب التشـريفية الرسـمية التـي ينعـم بهـا السـلطان العثمـاني علـيهم[٤١]. بيـد أن ذلـك كـان مسـألة (بروتوكولية) فحسب فيما يبدو، إذ أن حاكم هرمز كان لا ينفك يصدر أوامره إلى حاكم البحرين المحلي وينقل لـه أوامـر نائـب ملـك البرتغـال فـي الهنـد فـي التصـدي للعثمانيين في حال قدومهم غازين إلى البحرين[٤٢].

علـى أن وضـع البرتغـاليين فـي البحـرين –وفـي هرمـز أيضاً- يمكن وصفه بعدم الاستقرار في واقـع الحـال، لأن قـوتهم العسـكرية كانـت محـدودة، فكانـت مهـام السـيطرة علـى البحـرين وحكمهـا مـن القلعـة البرتغالية فيها تدار من قبل (القبطان) البرتغالي الذي ربما كان شخصاً غير ذي أهمية. كما أن ذلك الوضع كـان غير مستقر بسبب الثورات المحلية التـي كانـت تنشب ضد وجودهم في كل عام تقريباً[٤٣]. ومن ثم فقد كان البرتغاليون بحاجة مستمرة إلى إعادة سيطرتهم وتأكيد هيمنتهم على البحرين.

ففي عام ١٥٢٩ امتنع حاكم البحرين المحلي عن دفع الجزية المقررة إلى هرمز، فوجه إليه البرتغاليون حملـة عسكرية انضمت إليها ست من سفن الدورية المزودة بالمدافع، والتي كانت تقوم بمهامها في مياه الخليج العربي. وتوجهت كلها نحو البحرين، وأطلقت نيرانها على حصنها الذي تحصن فيه الحاكم، ولكنها لـم تفلـح فـي الاسـتمرار فـي مهمتهـا وتراجعت بفضل المقاومـة الشـديدة للبحـرينيين، والتـي ربمـا عززهـا نقص الذخيرة لدى البرتغاليين وتفشي المرض في صفوفهم[٤٤].

كذلك فإن البرتغاليين جردوا حملات أخرى لتعزيز سـيطرتهم علـى البحـرين فـي عـام ١٥٧٣[٤٥]، وعـام ١٥٨٢[٤٦]، وأقدموا على ترميم حصنهم في البحرين في سنة ١٥٨٥[٤٧]. إلا أن قوتهم قد بدأت بالوهن في

أواخـر القـرن السـادس عشـر بعـد أن أوهـن البرتغاليون مراكز التجارة المهمة في الخليج العربي كمسـقط وهرمـز والبحـرين بجشـعهم وقسـوتهم وظلمهم[٤٨]. ولم يتبق للبرتغاليين سوى الرحيل عن البحرين. وتم ذلك فعلاً في عام ١٦٠٢ بعد أن حل الفرس في مكانهم في تلك السنة بتنسيق مع ركن الدين مسعود حاكم البحرين آنذاك[٤٩].

علاقـات البحريـن بهرمـز إبـان سيـطرة البرتغاليين:

كانت هرمز تشكل كياناً سياسياً مستقلاً أو شبه مستقل في كثير من الأحيان، وذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر الحادي عشر الميلادي)، واستمر أمراؤها وملوكها العرب في حكمها منذ ذلك الوقت، إلا أنه لا يعلم على وجه التحديد متى بدأ هؤلاء بحكمهم لهذه المنطقة ومن هم أمراؤها الأوائل، وكان أول من عرف منهم هو الأمير ركن الدين محمود، الأمير الثاني عشر الذي وصل إلى الحكم في سنة ٦٤٤هـ (١٢٤٦م). وقد تبع أمراء هرمز آنذاك أتابكة فارس ثم القراختائيين في كرمان، وكانوا يدفعون لهم الخراج، ثم حولوا طاعتهم إلى مغول بلاد فارس، ومنحوها بعد ذلك إلى تيمورلنك في سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦م)، وخلال ذلك كله "كانوا مستقلين في الظاهر ويحكمون جزر البحرين وبلاد عمان إلا أنهم كانوا دائماً يدفعون الخراج لأمراء فارس وكرمان"[٥٠]. وفي القرنين اللذين سبقا قدوم الغزاة البرتغاليين إلى هرمز في سنة ١٥٠٧ كان ملوك هرمز لا يمارسون مهام الحكم مباشرة، إذ أنهم أناطوا بوزرائهم هذه المهمة. وغالباً ما كان أولئك الوزراء يمثلون (أوليغاركية) كبار التجار. وقد خضع أيضاً لحكم مملكة هرمز في ذينك القرنين ساحلا خليج عمان وبعض مناطق الخليج العربي الأخرى وجزره كالبحرين[٥١]. ولما كانت هرمز نفسها تخضع، ولو بشكل غير مباشر، لحكام بلاد فارس وكثيراً ما كانت تدفع الجزية لهم[٥٢]، فإنه يمكن القول، وكما أشرنا إلى ذلك سابقاً، بأن البحرين كانت تخضع للحكم الفارسي غير المباشر، وتقوم بدورها بدفع جزية سنوية إلى حكام هرمز تؤدى من قبل البحرينيين وحاكمهم المحلي.

وقد استمر هذا الوضع على حاله بعد الغزو البرتغالي لهرمز سنة ١٥٠٧، وعززته اتفاقية (تناب) مع ملك هرمز "الذي أصبح بموجبها ملكاً على البحرين باسم ملك البرتغال"[٥٣]. بيد أن حكم هرمز وسطوة البرتغاليين لم تمتد إلى أكثر من مدن الخليج الساحلية وموانئه مثل البحرين. وحتى هذه الموانئ كان الحكام المحليون هم الذين يمارسون مهام الحكم الفعلية المباشرة، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، إذ كان خضوعهم إلى الحكم البرتغالي أو الهرمزي اسمياً. وفيما عدا تلك السواحل، فإن الدواخل كانت ملكاً للقبائل لاسيما في مناطق صحار والبحرين[٥٤].

وانتهت بذلك علاقة فارس غير المباشرة بالبحرين، بل وبهرمز أيضاً، حيث رد البوكريك على الشاه عباس الصفوي حينما طالب هرمز بدفع الجزية السنوية له بأن هرمز قد أصبحت ملكاً لملك البرتغال الذي غنمها برجاله وكسبها بقوة أسطوله[٥٥]. وربما لم يسكت الشاه على هذا الرد فحسب، بل ودخل في اتفاق مع البوكريك يقضي بتنازله للبرتغاليين عن هرمز مقابل مساعدته في السيطرة على البحرين. ولكنهم قد نقضوا هذا الشرط وتمسكوا بشرط تنازل الشاه عن هرمز، وما لبثوا ان احتلوا البحرين كما سبق وأشرنا. وبذلك يمكن القول أن أية علاقة خضوع سياسي للبحرين بفارس لم تكن موجودة طوال عهد السيطرة البرتغالية عليها بين عامي ١٥٠٧ و ١٦٠٢

علاقات العثمانيين بالبحرين وصراعهم مع البرتغاليين عليها:

حرصت الدولة العثمانية بعد انتصارها على الشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران سنة ١٥١٤، على توجيه فتوحاتها نحو الشرق[٥٦]، فاقدمت على فتح مصر وإنهاء حكم المماليك فيها في عام ١٥١٧، ثم احتلت بغداد سنة ١٥٣٤ ، ومدت سيطرتها نحو الجنوب فاستولت على البصرة في عام ١٥٤٦ واتخذت منها قاعدة بحرية متقدمة للانطلاق منها نحو الخليج العربي والمحيط الهندي وتقويض نفوذ البرتغاليين فيهما "لحماية تجارة البلاد المتنامية مع الهند"[٥٧]. كما أنه يبدو أن العثمانيين في الوقت نفسه أرادوا أن يؤدوا دوراً دولياً فاعلاً يتيح لهم فرض هيمنتهم على البحر الأحمر وبحر العرب وليس على الخليج العربي فحسب، لاسيما وأن بعض سواحل الخليج العربي الغربية، التي تقع البحرين بمحاذاتها، كانت قد شهدت امتداد النفوذ العثماني إليها كالقطيف والإحساء التي تعد البحرين منفذها على الخليج. ولكن الدولة العثمانية في الوقت الذي حققت ما كانت تصبو إليه في مجال البحر الأحمر وبعض السواحل العربية

القريبة من مضيق باب المندب كعدن، فإنها واجهت في الوقت نفسه قوة البرتغاليين التي لم تترك لها حرية تحقيق أهدافها في الخليج العربي. وقد بذل العثمانيون جهوداً كبيرة في مواجهة تلك القوة وإنهاء وجودها في منطقة الخليج العربي، إلا أنهم قد أخفقوا في جهودهم تلك وأصيبوا بنكسات متعددة، ذلك أن البرتغاليين كانوا قد كرسوا وجودهم في الخليج واتخذوا من مدخله في هرمز مركزاً رئيساً لهم ولتجارتهم مع الهند، فضلاً عن تفوق الملاحة البرتغالية على الملاحة العثمانية مما جعل حملات العثمانيين على الخليج عامة وعلى البحرين خاصة غير ناجحة[٥٨].

وقد بدأت الدولة العثمانية علاقاتها بالخليج لأول مرة فيما يبدو حينما أرسلت في عام ١٥٢٩ عن طريق البحر الأحمر بعض القطع البحرية إلى مياه الخليج العربي لغرض الاستكشاف فيما نظن. إلا أن هذا الأسطول قد عومل من قبل الخليجيين بجفاء[٥٩]، إذ اعتبر عرب الخليج الأتراك العثمانيين كما يبدو من الغرباء الذين يجب أن لا يكون لهم وجود دائم في منطقة الخليج. أما العلاقات بين العثمانيين والبحرين، فقد بدأت عقب استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في سنة ١٥٣٤ مباشرة، فقد "أرسل حاكم البحرين إذعانه وخضوعه للسلطان سليمان"[٦٠] آنذاك. كما يذكر المؤرخ التركي أوزبران أيضاً أن وفداً من شيوخ القطيف والبحرين قد قدم إلى بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ حاملاً معه رسائل ترحيب به. ويستشف من كلام أوزبران أن هذا العمل ربما جاء بسبب حاجة هؤلاء إلى حماية العثمانيين لهم من البرتغاليين. كذلك فقد ذكر أوزبران أن وزير هرمز شرف الدين قد بعث برسالة أيضاً في ذلك الوقت إلى السلطان سليمان "يطلب منه إرسال مساعدة ضد أسياده البرتغاليين"[٦١]. وقد بادل العثمانيون حكام الخليج المحليين تلك العواطف التي أبدوها بعواطف مثلها، فخلعوا عليهم الألقاب الرسمية، حيث منح حاكم البحرين مثلاً الريس مراد لقب (سنجق بكي) من قبل الدولة العثمانية في عام ١٥٥٩[٦٢]. ومن ثم فقد كانت تلك العلاقات للعثمانيين مع البحرين لا تتجاوز تلك العواطف فيما يبدو، والتي عززتها رابطة الدين الواحد التي ربطت العثمانيين مع البحرينيين، بل مع الخليجيين والعرب عامة. والولاء الذي منحه بعض العرب للدولة العثمانية على أساس تلك الرابطة.

أما أغراض العثمانيين ومصالحهم في الخليج العربي فقد اصطدمت بصخرة البرتغاليين، فما هو موقع البحرين في خضم ذلك التصادم؟

وقبل التطرق إلى ذكر الأحداث التي تضطلع بمهمة الإجابة على هذا التساؤل لابد من الإشارة إلى أن الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج العربي عامة، ومنه صراعهم في البحرين، وكذلك عموم الصراع بين الدولة العثمانية والقوى الأوربية، كان يمثل صراعاً بين قوتين، أولاهما تمثل القوى الأوربية الناهضة المتحررة من عقال قرون التخلف الوسطى، والمنطلقة من قاعدة عصر النهضة والكشوفات الجغرافية، والتي بدأت منذ مطلع القرن السادس عشر تجوب مياه العالم للاستحواذ على ثروات هذا العالم والهيمنة عليه. أما القوة الأخرى فكانت تمثلها الدولة العثمانية، الدولة الإسلامية التي توسعت أواخر القرون الوسطى وبلغت أوج قوتها واتساعها في نهايتها، وتزامنت بداية مسيرة تراجعها مع نهضة أوربا، وهي الدولة التي لم تخرج عن نطاق وفكر حضارة القرون الوسطى حتى زوالها في بداية القرن العشرين عقب اندحارها في الحرب العالمية الأولى. ومن ثم فكان لابد أن يكون مصير مثل هذا الصراع تراجع للدولة العثمانية وانتصار للقوة البحرية البرتغالية وللقوى الأوربية التي خلفتها.. هولندية وبريطانية وفرنسية وروسية وألمانية، تصارعت بدورها فيما بينها لتسجل تفوق البريطانيين الذي استمر حتى استقلال دول وإمارات الخليج العربي في الثلث الأخير من القرن العشرين، ومن ضمنها بلاد البحرين.

وخلال ذلك الصراع العثماني البرتغالي في الخليج العربي تمركز البرتغاليون، في منطقة مضيق هرمز، ولم يتمكنوا من مدّ هيمنتهم وترسيخ أقدامهم في سواحل البصرة والقطيف التي تقع في الطرف الآخر المقابل لهرمز من الخليج، وهو الطرف الذي تمركز فيه العثمانيون الذين لم يتمكنوا في الوقت نفسه من إيصال سلطتهم إلى هرمز. ومن خلال هذه المعادلة التي استمرت حتى أواخر القرن السادس عشر واتضحت جلياً في منتصفه، يمكن القول بأن البحرين أصبحت آنذاك منطقة حدودية عازلة تفصل بين القوتين المتنازعتين العثمانية والبرتغالية، اللتين تواجهتا مراراً في هذه المنطقة كما سنرى لاحقاً.

على أن ذلك النزاع أو الصراع بين تلكما القوتين قد زادت في حدته تلك الاتصالات التي سبق وأن أشرنا بأن بعض حكام الخليج المحليين، ومنهم حكام البحرين، أجروها مع السلطات العثمانية، وقدموا من خلالها ولاءهم للعثمانيين وطاعتهم (الاسمية) لهم[٦٣].

ويرجع تصادم القوتين العثمانية والبرتغالية إلى عام ١٥٣٨، حيث استطاع الأسطول البحري العثماني الذي انطلق من مصر آنذاك أن يصل إلى (ديو) في كوجرات معقل البرتغاليين ويحاصرها. وعلى الرغم من أن ذلك الحصار لم يكن ناجحاً فإنه قد نبه البرتغاليين إلى خطر القوة البحرية العثمانية في السويس والوجود العثماني في عدن. وبالمقابل حاول البرتغاليون مهاجمة السويس ولكنها كانت محاولة فاشلة[٦٤].

وامتد التصادم بعد ذلك بين العثمانيين والبرتغاليين نحو السواحل العربية الجنوبية، ثم سرى إلى الخليج العربي عندما وصلت في سنة ١٥٤٦ أربع قطع بحرية عثمانية إلى مسقط وقصفتها دون أن تحدث خسائر كبيرة للبرتغاليين[٦٥]. على أنه كانت تتخلل تلك الأعمال العدائية المتبادلة بين الطرفين عدة محاولات يبذلها أحدهما للتقارب مع الآخر، مثل قيام ملك البرتغال بمحاولة لعقد اتفاق تجاري مع السلطان العثماني سنة ١٥٤١ والسماح بموجبه للبرتغاليين بالدخول إلى البحر الأحمر، وهو ما لم يوافق عليه السلطان "لخشيته من الروح الصليبية التي كانت تحرك البرتغاليين"[٦٦]. كما أن العثمانيين بدورهم حاولوا التقارب مع البرتغاليين عقب استيلائهم على البصرة في عام ١٥٤٦ بغرض تسهيل التجارة في الخليج العربي ولكن تلك المحاولات لم تنجح بطبيعة الحال لأن البرتغاليين كانوا يرون أن الوجود العثماني في الخليج العربي يهدد مصالح البرتغال التجارية التي

أرادت السيطرة على تجارة الخليج العربي والهيمنة عليها من الهند حتى البصرة[٦٧].

وفي منتصف القرن استأنف الطرفان صراعهما الذي استهدف جزء منه البحرين للاستحواذ عليها وهي آنذاك في قبضة البرتغاليين. فوجه البرتغاليون من الهند في عام ١٥٥٠ حملة تتألف من سبع سفن كبيرة نحو القطيف، دعمتها قوات محلية من هرمز ومنطقة الخليج. وكان هدف الحملة القضاء على قوة العثمانيين المتمركزة في حصن القطيف الذي تنازل عنه أصحابه العرب للعثمانيين مما قد يهدد الوجود البرتغالي في البحرين. ونجحت هذه القوة في مهمتها ودمرت حصن القطيف بعد أن استسلم الجنود الأتراك لها. وأراد قائد الحملة (نورونها) الاستمرار في مسيره نحو البصرة لمواجهة العثمانيين فيها، ولكنه تراجع بسبب اعتقاده، الذي أوحت به له السلطة العثمانية في البصرة، بأن العثمانيين وعرب المنطقة قد شكلوا حلفاً لمواجهته فانسحب نحو هرمز ليكتشف هناك بأنه خدع[٦٨].

ويبدو أن العثمانيين قرروا إثر ذلك الانتقام من البرتغاليين وإنهاء وجودهم في الخليج، فوجهوا حملة كبيرة في سنة ١٥٥٢ من السويس بقيادة (بيري ريس) لاحتلال هرمز واستخلاص جزيرة البحرين من قبضة البرتغاليين عقب الانتهاء من مهمتها الرئيسة. وأرسلت استنابول إلى سلطاتها في البصرة الأوامر والتعليمات التي يسير بموجبها بيري ريس قائد الحملة. واستطاعت الحملة احتلال مسقط، التي تعد من أهم القواعد البرتغالية[٦٩]، دون صعوبة، وحصار هرمز وقصف قلعتها، ومهاجمة قشم والاستيلاء على أموال تجارها الأغنياء. ورجعت الحملة بعد ذلك محملة بالغنائم والأسرى البرتغاليين إلى البصرة. وتحرك البرتغاليون لمواجهة الموقف فأرسلوا حملة كبيرة من الهند لإنقاذ هرمز، بيد أن هذه الحملة حينما وصلت وجدت العثمانيين قد انسحبوا نحو البصرة. وقد رجع بيري ريس مع ثلاث سفن محملة بالغنائم والأسرى إلى السويس، ثم استدعي من قبل السلطان للرد على التهم الموجهة إليه بشأن قلة كفاءته وإخفاق حملته، وأعدم بعد ذلك في عام ١٥٥٣[٧٠].

على أن البرتغاليين قد تابعوا بعد التهديد العثماني القوي لوجودهم في الخليج سنة ١٥٥٢ حماية مراكزهم المهمة في الخليج كالبحرين، وتحصينها ضد أي هجوم عثماني محتمل، حيث ورد في رسالة حاكم هرمز البرتغالي نورونها إلى نائب الملك في الهند أواخر عام ١٥٥٢ ما يشير إلى ذلك، فهو يخبره فيها بأنه قد حول رسالته (رسالة نائب الملك) إلى مراد ريس حاكم البحرين، وطلب منه أن يجمع قواته للدفاع عن البحرين حينما يهاجمها العثمانيون في المستقبل للاستحواذ عليها[٧١].

وحينما أخفقت حملة بيري ريس العثمانية الكبرى في تحقيق أهدافها في السيطرة على الخليج العربي ركز العثمانيون جهودهم على إبقاء مضيق هرمز مفتوحاً بوجه التجارة، وعلى محاولة الزحف من نقطة ارتكازهم في البصرة نحو الساحل الشرقي للجزيرة العربية ونحو البحرين أيضاً. إلا أنهم كانوا يخشون من رد فعل البرتغاليين وانتقامهم. وهي مخاوف قد تحققت بالفعل، حيث تصدى البرتغاليون بقوة لسفن العثمانيين السبع عشرة التي شاركت في حملة سنة ١٥٥٢ وكانت تنوي العودة من البصرة إلى السويس بقيادة مراد ريس، وانتصروا عليه في معركة قرب هرمز مما اضطر العثمانيين للعودة إلى البصرة وقاموا بتعيين سيدي علي ريس ليقوم بالمهمة، فأبحر من البصرة بخمس عشرة سفينة واصطدم بالبرتغاليين قرب خور فكّان على ساحل عمان، ودارت معركة عنيفة بينهما في آب ١٥٥٤ تراجع على أثرها البرتغاليون، ثم ما لبث هؤلاء بعد أن أعادوا تجهيز سفنهم وإعدادها، أن دخلوا في معركة ثانية مع العثمانيين تكبد فيها العثمانيون خسائر فادحة وانسحبوا بست سفن نجت من التدمير نحو اليمن إلا أن الرياح الغربية حملتهم إلى الهند، فباع سيدي علي ريس سفنه الست في الهند وعاد إلى استانبول في عام ١٥٥٧[٧٢].

وعلى الرغم من كل تلك الإخفاقات العثمانية، وانصراف العثمانيين نحو تثبيت مركزهم بعد ذلك في البحر الأحمر، فإنهم استمروا في سعيهم للاستيلاء على البحرين لموقعها الاستراتيجي المتقدم في ساحة صراعهم مع البرتغاليين، فأغاروا عليها، فيما يبدو، في عام ١٥٥٣ في غمرة الانتصارات التي حققوها في عام ١٥٥٢، وحاصروها. إلا أن قيام البرتغاليين بنجدة البحرين بقوات أرسلت إليها من هرمز أدت إلى فك ذلك الحصار وانسحاب العثمانيين نحو البصرة[٧٣].

وأعاد العثمانيون الكرة في عام ١٥٥٩ على البحرين، ونجحوا فيما يبدو في السيطرة عليها وإقامة قاعدة فيها لبعض الوقت[٧٤]. وقد اضطلع بمهمة القيام بهذه الحملة الحاكم العثماني في الإحساء مصطفى باشا. ويظهر مما أوردته المصادر التركية ونقله المؤرخ التركي أوزبران أن السلطان العثماني قد أشار في رسالة بعثها في تشرين الأول ١٥٥٩ إلى حاكم البحرين إلى أنه لم يأمر بحملة مصطفى باشا وأن هذا الأخير قام بها من تلقاء نفسه. ولا نعلم على وجه التحديد بالأسباب التي دعت السلطان إلى التنصل عن تلك الحملة. وقد هب البرتغاليون من هرمز لنجدة البحرين ونظامها التابع لهم من خطر الاحتلال العثماني، وتمكنوا من استخلاصها من أيدي العثمانيين، ومصادرة أسلحتهم وفرض غرامة عليهم، ليس بفضل قوتهم البحرية فحسب، بل بسبب نقص المؤن والتجهيزات لدى العثمانيين وموت قائدهم مصطفى باشا بسبب الحمى التي جلبتها الرياح الشرقية وتسببت في موت عدد كبير من الأتراك، بل والبرتغاليين أيضاً[٧٥]. كذلك يبدو أن الانتصار على العثمانيين قد تحقق بفضل استعانة الريس مراد حاكم البحرين بفيلق من الجنود الفرس[٧٦]، من المرتزقة فيما يبدو.

وقبل أن تترك أمر البحرين في القرن السادس عشر، فإن الدولة العثمانية قد جددت أطماعها في البحرين، وتدارست مع سلطاتها في الإحساء إمكانية الاستيلاء عليها. وطلبت إلى هذه السلطات في مايس ١٥٧٣ بيان ما يستلزمه مثل هذا العمل والفرصة الملائمة لتنفيذه. وأكدت على ذلك في طلبها سنة ١٥٧٥ إلى سلطاتها في بغداد والإحساء أن تتهيأ للاشتراك بحملة لإخضاع البحرين، وتعد التجهيزات اللازمة لها. إلا أن ذلك كله لم يخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي[٧٧].

ويبدو أن إخفاق العثمانيين في تنافسهم مع البرتغاليين على الخليج العربي عامة، وعلى البحرين بصورة خاصة كان يرجع إلى عدة أسباب، سبق وأن نوهنا ببعضها، منها ضعف إمكاناتهم البحرية في الخليج، ذلك أن السفن الحربية التي استخدموها في هذه المنطقة كانت تأتي من قواعدهم البحرية في البحر الأحمر لصعوبة بنائها في البصرة ميناءهم الرئيس في الخليج العربي لعدم توفر الأخشاب اللازمة فيها، ولصعوبة نقلها بالبر إليها. أما قواعدهم الرئيسة فكان وجودها يقتصر على البحر المتوسط حيث تتوفر هناك الأخشاب اللازمة لبناء السفن[٧٨]. هذا كله فضلاً عن تفوق البرتغاليين على العثمانيين في الملاحة البحرية وتقنياتها ووسائلها، وفي الأسلحة والمعدات أيضاً.

المقاومة العربية البحرينية للوجود الأجنبي:

لاشك أن أوضاع البرتغاليين في مناطق الخليج العربي التي سيطروا عليها بصورة عامة، وفي البحرين بصورة خاصة، كانت غير مستقرة بسبب مقاومة السكان العرب المستمرة للوجود الأجنبي، تلك المقاومة التي وصفت، فيما يخص البحرين، بأنها كانت تدعو إلى الدهشة وتحدث في كل سنة تقريباً[٧٩]. ويبدو أن مظاهر الوجود البرتغالي في البحرين كانت تستفز مشاعر أهالي البلاد، لذلك فإن وجود البرتغاليين كان يقتصر في البحرين على حصنهم، وكانت سلطتهم تتمثل، كما أشرنا من قبل، في ذلك القبطان القابع في الحصن، والذي قد يكون شخصاً قليل الأهمية[٨٠]. ويبدو أيضاً أن الوجود البرتغالي في هرمز كان أكثر وضوحاً وكثافة منه في البحرين.

وتتجلى مقاومة البحرينيين للغزاة البرتغاليين في عدة مواقف منها تصديهم العنيف، الذي أشرنا إليه من قبل، لهؤلاء حينما قدموا على البحرين بحملة بحرية كبيرة في سنة ١٥١٧ وحاصروها، ثم رجعوا عنها بفضل ذلك التصدي البحريني لهم. كما كان لسكان مدينة المنامة مثل هذا الموقف تجاه محاصرة الأسطول البرتغالي لبلادهم في عام ١٥٢١، ونزول جنوده إلى مدينتهم، حيث نشبت معارك في الشوارع مع الغزاة استبسل خلالها البحرينيون دفاعاً عن وطنهم[٨١]. وكان دفاع البحرينيين هذا هو استمرار لثورتهم على البرتغاليين التي شاركوا فيها إخوانهم في هرمز ومسقط وقريات وصحار، والتي جاء الإنزال البرتغالي في البحرين سنة ١٥٢١ لإخمادها، حيث اتفق عرب الخليج في هذه المناطق، وبتوجيه من ملك هرمز العربي ومساعديه، على القيام بثورة شاملة ضد الوجود البرتغالي في وقت واحد لتفاقم مظالم هؤلاء. وهوجمت حصونهم في المناطق العربية في ليلة واحدة، في الثلاثين من تشرين الثاني من سنة ١٥٢١، وقتل عدد كبير من البرتغاليين، وكادت سيطرتهم على الخليج أن تقوض لولا تصدع وحدة العرب بنشوب الخلافات فيما بينهم، حيث خرج حاكم مسقط على ذلك الإجماع العربي لخلافات بينه وبين الهرمزيين، وقام بفتح أبواب بلاده للبرتغاليين الفارين من كل أماكن وجودهم في الخليج، من الذين نجوا من القتل والأسر[٨٢].

ولعل مثل هذه المقاومة البحرينية الوطنية هي التي أودت، من قبل، بحياة الشيخ مقرن بن زامل، حاكم البحرين المحلي من بني جبر، حيث أعدمه البرتغاليون في عام ١٥٢٠[٨٣].

وقد تجددت ثورة البحرينيين على الوجود البرتغالي في سنة ١٥٢٢، أي بعد سنة واحدة من حدوث الثورة السابقة، مما يؤكد مقولة المؤرخ Faroughy ، التي سبق وأن ذكرناها، بأن مقاومة البحرينيين للوجود البرتغالي كانت تحدث في كل سنة تقريباً وبشكل يدعو إلى الدهشة. وكانت تلك الثورة قد جرت أيضاً بالتنسيق مع عرب الخليج في هرمز ومسقط وقريات وصحار، وفي وقت واحد أيضاً. إلا ان وصول إمدادات البرتغاليين للبحرين أحبطت تلك الثورة وسيطر البرتغاليون على الموقف في البحرين ثانية[٨٤]. ويذكر Faroughy [٨٥] أن البحرينيين انتقموا لأنفسهم خلال تلك الثورة -مما جرى لهم مع البرتغاليين في السنة السابقة- فقاموا بذبح الحامية البرتغالية حتى آخر رجل فيها، وشنقوا قائدها على جذع نخلة.

واستمرت بعد ذلك ثورات عرب الخليج بوجه البرتغاليين برغم قسوة هؤلاء واستخدامهم للعنف والبطش مع العرب الثائرين، ونفيهم إلى مناطق شتى وإلى البرتغال نفسها. وكانت من أعنف تلك الثورات ثورة البحرينيين سنة ١٥٢٩، حيث امتنع هؤلاء عن دفع الجزية السنوية المفروضة عليهم إلى هرمز، فأرسل نائب الملك في الهند أخاه (سيماو دا كونها) على رأس حملة بحرية عسكرية لإخضاع البحرين وإنهاء (تمردها). فامتنع (بدر الدين) حاكم البحرين، وهو ابن عم حاكم هرمز، عن تسليم حصن البحرين للقائد البرتغالي، فشرع البرتغاليون بإطلاق النار على الحصن غير أن هجومهم فشل وهزمت قواتهم وعادت إلى الهند[٨٦]. ويبدو أن قائد الحملة (سيماو دا كونها) قد قتل أثناء ذلك الهجوم على البحرين[٨٧].

ويعزو المؤرخ التركي أوزبران، الذي اعتمد على المصادر البرتغالية غالباً، سبب فشل الهجوم إلى نقص البارود لدى البرتغاليين، وانتشار المرض بين

صفوفهم[٨٨]. بيد أن ذلك لا يمثل الحقيقة بكل أبعادها فيما يبدو، إذ أن فشل الهجوم البرتغالي يرجع في أهم أسبابه إلى مقاومة البحرينيين له، وكما يؤكد ذلك عدد من المؤرخين[٨٩].

ويبدو أن مقاومة البحرينيين للوجود البرتغالي قد اعتراها بعض الضعف بعد ذلك. ولكنه من المؤكد أنها لم تنته نهائياً. وهناك إشارات متعددة تدل على ذلك، منها ثورة القبائل العربية في البحرين وساحل القطيف التي نشبت بوجه البرتغاليين في عام ١٥٥٥ بالتعاون مع العثمانيين فيما يبدو. وقد استعان حكام هرمز، التي كانت البحرين تابعة لهم، بالبرتغاليين للقضاء على هذه الثورة. وتمكن البرتغاليون من تحقيق ذلك وطرد الأتراك من البحرين[٩٠].

كما يبدو أن من أسباب ذلك الضعف للمقاومة العربية البحرينية للوجود البرتغالي بعد انتصاف القرن السادس عشر، هو التعادل في ميزان القوى بين العثمانيين والبرتغاليين، وجنوح الجانبين إلى الاكتفاء بمراكزهما التقليدية في الخليج العربي، وإحلال السلام بينهما. وذلك ما أضعف الجانب العربي الذي ترك في مناطق هيمنة البرتغاليين عليه يواجه لوحده قوة هؤلاء وجبروتهم. وأوضح مثال لهذا الأمر فيما يخص البحرين الاتفاق السلمي للبرتغاليين مع العثمانيين الذي قضى في سنة ١٥٥٩، كما سبق القول، بأن يسلم العثمانيون أسلحتهم إلى البرتغاليين ويؤدوا غرامة لهم، ويرحلوا عن البحرين. وذلك يعني تفاقم قوة البرتغاليين بوجه أية مقاومة داخلية. هذا كله فضلاً عن انقسام حكام الخليج العربي على أنفسهم وعدم توحد كلمتهم، وتنازعهم على السلطة والمكاسب الآنية.

لذلك فإنه في نهاية القرن السادس عشر اضطر البحرينيون، بعد أن ينسوا من مساعدة الأتراك لهم، إلى أن يلتجئوا إلى طلب المساعدة من الفرس، فـ"اشتدت بمساعدة الفرس أعمال الانتقاض على البرتغاليين"[٩١] في البحرين آنذاك. وذلك ما جدد الأطماع الفارسية في البحرين، والتي حققت مكاسب ملموسة لصالحها بعيد انصرام القرن السادس عشر،

حيث طرد الغزاة البرتغاليون من البحرين عام ١٦٠٢، وحل الفرس في مكانهم.

الهوامش:

(١) ينظر: Faroughy, Abbas, The Bahrein Islands 750-1951 A contribution to the study of power politics in the Persian Gulf, Verry, Fisher & Co. Inc., New York 1951, pp. 13-14.

النجار، مصطفى (الدكتور)، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٤، ص٨.

(٢) العبيدي، خضير نعمان، البحرين من إمارات الخليج العربي، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٩، ص٦٩.

(٣) بيربيي، جان جاك، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ١٩٥٩، ص٥٦.

(٤) للتفاصيل عن التسميات التي أطلقت على البحرين عبر العصور، يراجع: العبيدي، ص١٠-١٢.

(٥) Abu-Hakima, Ahmad Mustafa, The Development of The Gulf States, chapter in the book titled: The Arabian Peninsula, edited by: Derek Hopwood, George Allen and Unwin Ltd., London 1972, p.40.

(٦) لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج١، مطابع علي بن علي، الدوحة (د.ت)، ص٢٩٦.

(٧) نوفل، سيد (الدكتور)، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩، ص٢٨.

(٨) إبراهيم، محمد كريم (الدكتور) وزميله، الوثائق البريطانية المتعلقة بالبحرين في مركز دراسات الخليج العربي، بحث منشور في: مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، السنة ١٦، العدد ٤ المجلد ٢٠، ١٩٨٨ ص١٠١-١٠٢. Faroughy , p.63.

(٩) الفيل، محمد رشيد (الدكتور)، الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٨، ص٢٦.
(١٠) يراجع: لوريمر، ق الجغرافي، ج١، ص٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١.
وبيربيي، ص٦٦.
(١١) المرجع نفسه، ص١٦٨.
(١٢) العبيدي، ص١٥٧.
(١٣) أوزبران، صالح (الدكتور)، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة د.عبد الجبار ناجي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (٢٧)، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٩، ص٥٢.
(١٤) النجار وآخرون، ص١٦.
(١٥) التكريتي، سليم طه، المقاومة العربية في الخليج العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص٥٢.
(١٦) إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، بريطانيا وإمارات الساحل العماني: دراسة في العلاقات التعاهدية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٨، ص١٤.
وينظر أيضاً: أنيس، محمد (الدكتور)، الدولة العثمانية والشرق العربي، ١٥١٤-١٩١٤، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة ١٩٨١، ص١٢٠-١٢٢.

(17)Garratt, G.T., The Legacy of India, University Press, Oxford, 1945, p.395.

(18)Dodwell, H. H., and others, The Cambridge Shorter History of India, S. Chand & Co., New Delhi, 1969, pp. 483-484.

(١٩) لتفاصيل أكثر عنه ينظر: ابن ماجد ملاح الخليج الأكبر، في كتاب محمد جابر الأنصاري: لمحات من الخليج العربي، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، البحرين ١٩٧٠.
(٢٠) إبراهيم، ص١٦ وما بعدها.
أوزبران، ص١٨.

Serjeant, R. B., The Portuguese off The South Arabian Coast, Hadrami Chronicles, The Clarendon Press, Oxford 1963, pp. 4, 13-14.

(٢١) ينظر: Dodwell, p. 484.
إبراهيم ، ص٢٠.
(٢٢) ينظر: Serjeant, p. 14.
(٢٣) ينظر: 43-44.
Serjeant, pp.وينظر أيضا: أنيس، ص١٢٢-١٢٣.
(٢٤) إبراهيم ، ص٢١، ٢٢. وينظر أيضاً:
Serjeant, pp. 14-15.
(٢٥) ينظر: اليوزبكي، توفيق (الدكتور)، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، الموصل ١٩٧٥، ص ١٤١-١٤٣.
(٢٦) Garratt, p.395.
(٢٧) الفيل، ص٧٢.
(٢٨) يراجع للتفاصيل: إبراهيم ، ص٢٨-٢٩.
(٢٩) Abu-Hakima, p. 40.
(٣٠) Faroughy , p. 62.
(٣١) أوزبران، ص١٨.
(٣٢) نوفل، ص٢٣.
(٣٣) إبراهيم ، ص٣٠.
(٣٤) ينظر: نفسه، ص٣١.
(٣٥) ينظر عن هذه الحملة: التكريتي، ص٥١.
(٣٦) يراجع: أوزبران، ص٢٠-٢١.
(٣٧) نوفل، ص٢٤.
(٣٨) المسكتية، هم الجنود من حملة نوع من البنادق يعرف بالمسكت.
(٣٩) Faroughy , p.62.
(٤٠) ينظر Abu-Hakima, p. 40.
(٤١) ينظر: أوزبران، ص٥٢.
(٤٢) نفسه، ص٨٠.
(٤٣) Faroughy , p.63.
(٤٤) ينظر: أوزبران، ص٢٥-٢٦.
(٤٥) نفسه، ص٥٧.
(٤٦) الحمدي، فالح (الدكتور)، البحرين خلال السيطرة البرتغالية ١٥٠٧-١٦٠٢، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد ٣٤، السنة ١٧، يوليو ١٩٩٨، ص٣٢.

(٤٧) Faroughy , p.63.
(٤٨) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦-١١٤٨هـ / ١٥٠٠-١٧٣٦م، ترجمة وتقديم، محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩، ص١٥.
(٤٩) الحمدي، ص٣٣-٣٤.
(٥٠) فلسفي، ص٨.
(٥١) ينظر إبراهيم ، ص٢٦.
(٥٢) Faroughy , p.62.
(٥٣) الحمدي، ص٣١.
(٥٤) Serjeant, p.11.
(٥٥) إبراهيم ، ص٢٩.
(٥٦) هناك من المؤرخين من يرى أن توجه العثمانيين بفتوحاتهم نحو الشرق كان يهدف إلى حماية الشرق الأدنى الإسلامي من الخطر البرتغالي. للتفاصيل يراجع: أنيس، ص١٠٢-١٠٣.
(٥٧) أوزبران، ص٥.
(٥٨) ينظر: أوزبران، ص٥٩.
(٥٩) الحمدي، ص٣٦.
(٦٠) أوزبران، ص٥٢.
(٦١) نفسه، ص٢٩.
(٦٢) نفسه، ص٥٩.
(٦٣) ينظر: إبراهيم ، ص٣٤.
(٦٤) للتفاصيل يراجع: أوزبران ص٤٢-٤٣.
(٦٥) إبراهيم ، ص٣٤.
(٦٦) إبراهيم ، ص٣٧. وتراجع فيه ص٣٤ أيضاً.
(٦٧) ينظر: أوزبران، ص٣٢، ٣٩.
(٦٨) للتفاصيل: نفسه ص٤٠-٤٢. فلسفي، ص١٨.
(٦٩) بيربيي، ص٤٠.
(٧٠) للتفاصيل يراجع: أوزبران، ص٤٤-٤٧. بيربيي، ص٤٠-٤١. إبراهيم ، ص٣٤-٣٥.
(٧١) يراجع نص الرسالة في: أوزبران ص٧٦-٨٠.
(٧٢) للتفاصيل: إبراهيم ، ص٣٥-٣٦. أوزبران، ص٤٧-٥١.
(٧٣) ينظر: الحمدي، ص٣٦.
(٧٤) لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، مطابع علي بن علي، الدوحة (د.ت)، ص١٢٧٥.
(٧٥) للتفاصيل أكثر يراجع: أوزبران، ص٥٣-٥٤.
(٧٦) Faroughy , p.63.
(٧٧) أوزبران، ص٥٧.
(٧٨) إبراهيم ، ص٣٦.
(٧٩) Faroughy , p.63.
(٨٠) *Ibid.*
(٨١) يراجع: التكريتي، ص٥١-٥٢.
(٨٢) إبراهيم ، ص٣٢.
(٨٣) ينظر: الحمدي، ص٣٢.
(٨٤) أبا حسين، علي (الدكتور)، تعليق على بحث: فترة التنافس الأوربي بين عامي ١٦٥٠-١٨٠٠ ونظرة المبعوثين الأوربيين إلى القوى العربية الفاعلة آنذاك، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد ٣٤، السنة ١٧، يوليو ١٩٩٨، ص١٣١-١٣٢.
(٨٥) Op. cit.,p.62.
(٨٦) فلسفي، ص١٧.
(٨٧) ينظر: نوفل، ص٢٤.
(٨٨) ينظر: أوزبران، ص٢٦.
(٨٩) منهم ويلسون في تاريخ الخليج، ولوريمر في دليل الخليج، وعبد الكريم غرايبة في كتابه مقدمة في تاريخ العرب الحديث. يراجع ما ذكره المترجم الدكتور عبد الجبار ناجي، في: أوزبران، ص٢٧، الهامش ٢٥.
(٩٠) ينظر: الحمدي، ص٣٦.
(٩١) نوفل، ص٢٤.

Abstract

Bahrain and the Local and International Forces during the16th Century

Bahrain's strategic location in the Arab Gulf and its political, commercial and economic importance have numerous regional and international forces to compete among themselves to take hold of it. they, therefore, were involved in struggles with its people. according to the French Jan Jack Beazley, conquerors wanted to take hold of this country thousands of years ago. this paper is to uncover the competition between the regional and international forces during the 16th century to overcome Bahrain. These forces are foreign ones, such as Portuguese, Ottomans, Persians and Hermezies. the importance of the paper and the studies that deal with Bahrain's history at that early stage of modern age come from the attempt to discover a generally ambiguous part of Bahrain's history because there are few written works on it, especially on the society, political regime and its resistances to the invaders.

Most of these few works was written by the Portuguese who did not try to be objective in writing Bahrain's history. they mainly documented certain military actions which in their viewpoints, were important. they also gave information on Bahrain's pearls, for Bahrain is considered the most abundant gulf country in producing pearls. The British did not wrote any information about Bahrain till 1625.

The paper deals first with the Portuguese presence in the Arab Gulf, the nature of its bases and its motives. then it studies numerous aspects which can be categorized under the title of the paper as follow: the Portuguese resistance to the Memluks' marines and their victory, and the Portuguese competition with the Ottomans to control the Red Sea and the Arab Gulf which resulted in their success in the first years of the 16th century to control over the Arab Gulf after their victory over the ruler of Hermiz in 1507. As a result, Bahrain yielded to them because it used to yield to Hermiz. After a number of political and military struggles with Hermiz, the Safawis and the Bahrainis, they were able to overcome Bahrain in 1521. The Portuguese, however, did not govern Bahrain directly. They kept its local rulers.

The paper also deals with the relations between Hermiz during the Portuguese control, and the relations between the Ottomans and Bahrain and their struggle with the Portuguese to overcome it. The Bahrain resistance to the foreign Portuguese existence is also tackled. It succeeded, with the aid of the Persians, to drive out the Portuguese invaders from Bahrain in 1602